

أردوغان المتنمر
يشهر سلاح اللاجئين

علي قاسم

كاتب سوري مقيم في تونس

ماذا سيفعل الاتحاد الأوروبي الآن، وقد أشهر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، سلاح اللاجئين في وجهه، بعد أن هدد به طويلاً؟ جاءت اللحظة التي انتظرتها واشنطن، على مدار السنوات الثلاث الأخيرة، 33 قتيلاً في صفوف الجيش التركي تكفي لخروج الرئيس التركي الجريح عن أطواره، وتدفع إلى توتر العلاقات بين أنقرة وموسكو.

جهات إعلامية عديدة، في الولايات المتحدة، عبرت عن شماتها من أردوغان، وحملت مسؤولية ما حصل، فهو حسب رأيها، أضعاف الوقت في تملق الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. أضر صبر واشنطن في النهاية، وهي تنتظر عودة الابن الضال إلى حضنها، وتتوقع من أنقرة شن هجوم على القوات السورية المدعومة من روسيا، والتي تقاوم لبسط سيطرتها على كامل محافظة إدلب، ومن أجل ذلك أعرب حلف شمال الأطلسي (الناتو) عن دعمه لحكومة أردوغان.

وكانت علاقات تركيا بالولايات المتحدة وحلف الناتو، قد شهدت تقوراً، دفع جهات أوروبية للتنبؤ بوصولها إلى حد القطيعة. بينما انتظرت واشنطن لحظة تتعارض فيها مصالح الدولتين.

وترى الإدارة الأميركية، في توتر العلاقات التركية الروسية، بعد مواجهة الأخيرة في إدلب، فرصة يجب استثمارها لإحياء الشراكة الإستراتيجية مع أنقرة. وسهلت المخاوف الأوروبية من استخدام أنقرة سلاح اللاجئين مهمة واشنطن. وبينما راهن أردوغان على التقارب مع بوتين أملاً في عقد شراكة إستراتيجية معه، يحقق من خلالها حلمه، راهنت واشنطن على أن حلم أردوغان مجرد وهم لن يتحقق.

ورددت تركيا على الاتهامات اليونانية بتغريدة، لوزير الخارجية، مولود جاويش أوغلو، مصحوبة بصور للمئات من الجالسين خارج الموقع الحدودي اليوناني "انظروا من حضارتنا بشأن القانون الدولي، إنهم يلقون قنابل الغاز المسيل للدموع بخزي على الآلاف من الأبرياء المحتشدين عند بواباتهم (..) ليس علينا التزام لمنع الناس من مغادرة بلادنا، لكن اليونان عليها واجب معاملتهم كمشركين".

نجح أردوغان في إثارة مخاوف الاتحاد الأوروبي، الذي عبر عن دعمه اليونان وبلغاريا، في حماية حدود التكتل، وسعى إلى تهدئة أنقرة. والجمعة، أكد أمين عام الناتو ينس ستولتنبرغ، دعم الحلف القوي لتركيا، وقال إن أعضاء الحلف يدرسون إمكانية فعل المزيد من أجلها.

ماذا ينتظر أردوغان من التصعيد؟ أن تجبر موسكو الحكومة السورية على قبول تنازلات تمنح وفقها تركيا صلاحيات واسعة على محافظة إدلب وضواحيها، أو أن يدخل حرباً يخرج منها منتصراً؛ وإن بدا هذا الرهان للبعض بعيد المنال، إلا أنه بالنسبة لرئيس متفخر، مثل أردوغان رهان يستحق أن يفكر به.

هذا عن أنقرة، فماذا عن واشنطن؟ الجواب يمكن توقعه بقراءة ما حدث بأفغانستان وما حدث في العراق... الفوضى.

صعب على أردوغان أن ينسحب من المواجهة دون رد، أو على الأقل فرض اتفاق يرد له الاعتبار؛ النظام التركي والأتراك ينتظرون منه ذلك، وأول خطوة يتوجب عليه اتخاذها هي إعادة العلاقات مع واشنطن، وهي الخطوة التي كان الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، يتوقعها.

وتنتظر أنقرة من الولايات المتحدة دعماً لإقناع حلف الناتو بنشر أنظمة صواريخ باتريوت، على الحدود بينها وبين سوريا، وتقديم معلومات استخباراتية تساعدها في إعادة فرض سيطرتها على محافظة إدلب، مقابل أن تتخلى هي عن صفقة صواريخ أس - 400 الروسية.

وبينما يستبعد محللون عسكريون أن يقوم أردوغان بهجوم موسع داخل سوريا، يتوقع البعض منهم قيام القوات التركية بهجوم محدود، يكون من نتائجه، وضع نهاية

للتحالف الغض بين أنقرة وموسكو. وكان السفير الروسي بالأمم المتحدة، فاسيلي نيبينزيا، قال، في كلمته أمام مجلس الأمن، إن بلاده قدمت إحدائيات مواقع الجنود الأتراك للنظام السوري، لمنع مواجهة بين الطرفين، إلا أن ممثل تركيا الدائم لدى الأمم المتحدة، فريدون سينرلي أوغلو، رفض التبريرات الروسية، مؤكداً أن الرادار أظهر الطائرات السورية والروسية تحلق جنبا إلى جنب، وأن الجنود الأتراك استهدفوا عن عمد.

يدرك أردوغان أن عليه الحصول على تأييد الدول الأوروبية، إضافة إلى الولايات المتحدة والناتو، قبل أي مغامرة تضعه في مواجهة بوتين داخل سوريا، لذلك لجأ إلى ابتزازها بسلاح اللاجئين، مكتفياً ببضعة آلاف دفع بهم إلى الحدود مع دول أوروبية، ملتمحاً بوجود مليون لاجئ آخر لن يتردد في استخدامهم.

لم يتسرب خبر فتح الحدود التركية أمام الآلاف من اللاجئين عن طريق وكالات الأنباء، بل قام أردوغان بالإعلان عنه شخصياً؛ رسالة واضحة تقرأ باتجاه واحد: سبق أن هددت، وها أنا الآن أفعله. وقال أردوغان إن نحو 18 ألف مهاجر عبروا الحدود إلى أوروبا.

وأكدت المنظمة الدولية للهجرة أن 13 ألف شخص يحتشدون على الحدود اليونانية - التركية.

ويزيد انتشار فايروس كورونا المخاوف الأوروبية من كوارث قد تنجم عن تدفق عشوائي للاجئين، وقالت اليونان، الخميس، إنها ستستند التدابير على الحدود، للحيلولة دون وصول الفايروس إلى جزرها، في بحر إيجه، حيث يعيش الآلاف من اللاجئين في ظروف بائسة.

وكانت اليونان بوابة رئيسية لمئات الآلاف من طالبي اللجوء، خلال عامي 2015 و2016، وهي تؤكد اليوم أنها لن تسمح بدخول المزيد منهم، فهؤلاء لم يأتوا بانفسهم، بل دفع بهم، واستخدموا من قبل "الجارّة" تركيا، ووصفت ما حدث بمحاولة منظمة وجماعية وغير قانونية لانتهاك حدود اليونان.

وردت تركيا على الاتهامات اليونانية بتغريدة، لوزير الخارجية، مولود جاويش أوغلو، مصحوبة بصور للمئات من الجالسين خارج الموقع الحدودي اليوناني "انظروا من حضارتنا بشأن القانون الدولي، إنهم يلقون قنابل الغاز المسيل للدموع بخزي على الآلاف من الأبرياء المحتشدين عند بواباتهم (..) ليس علينا التزام لمنع الناس من مغادرة بلادنا، لكن اليونان عليها واجب معاملتهم كمشركين".

نجح أردوغان في إثارة مخاوف الاتحاد الأوروبي، الذي عبر عن دعمه اليونان وبلغاريا، في حماية حدود التكتل، وسعى إلى تهدئة أنقرة. والجمعة، أكد أمين عام الناتو ينس ستولتنبرغ، دعم الحلف القوي لتركيا، وقال إن أعضاء الحلف يدرسون إمكانية فعل المزيد من أجلها.

ماذا ينتظر أردوغان من التصعيد؟ أن تجبر موسكو الحكومة السورية على قبول تنازلات تمنح وفقها تركيا صلاحيات واسعة على محافظة إدلب وضواحيها، أو أن يدخل حرباً يخرج منها منتصراً؛ وإن بدا هذا الرهان للبعض بعيد المنال، إلا أنه بالنسبة لرئيس متفخر، مثل أردوغان رهان يستحق أن يفكر به.

هذا عن أنقرة، فماذا عن واشنطن؟ الجواب يمكن توقعه بقراءة ما حدث بأفغانستان وما حدث في العراق... الفوضى.

صعب على أردوغان أن ينسحب من المواجهة دون رد، أو على الأقل فرض اتفاق يرد له الاعتبار؛ النظام التركي والأتراك ينتظرون منه ذلك، وأول خطوة يتوجب عليه اتخاذها هي إعادة العلاقات مع واشنطن، وهي الخطوة التي كان الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، يتوقعها.

وتنتظر أنقرة من الولايات المتحدة دعماً لإقناع حلف الناتو بنشر أنظمة صواريخ باتريوت، على الحدود بينها وبين سوريا، وتقديم معلومات استخباراتية تساعدها في إعادة فرض سيطرتها على محافظة إدلب، مقابل أن تتخلى هي عن صفقة صواريخ أس - 400 الروسية.

وبينما يستبعد محللون عسكريون أن يقوم أردوغان بهجوم موسع داخل سوريا، يتوقع البعض منهم قيام القوات التركية بهجوم محدود، يكون من نتائجه، وضع نهاية



المأزق التركي وغير التركي

خير الله خيرالله

إعلامي لبناني

الجميع في مأزق. اسم هذا المأزق، مأزق إدلب الذي تورط فيه النظام السوري وروسيا وإيران وتركيا وأدوات إيرانية مثل "حزب الله" في لبنان. يؤكد مأزق إدلب أن سوريا التي عرفناها انتهت منذ تسع سنوات. انتهت عملياً عندما قرّر بشار الأسد في آذار - مارس 2011 اللجوء إلى السلاح لقمع ثورة شعبية حقيقية، غير من خلالها السوريين عن رفضهم لنظام أقلوي تأسس عملياً في الثالث والعشرين من شباط 1963.

وقدذاك، نفذ الضباط العلويون الثلاثة الكبار (محمد عمران وصالح جديد وحافظ الأسد) انقلابهم تمهيداً لإقامة نظام جديد، بدأ بتبلور في تشرين الثاني - نوفمبر 1970 عندما تقوّذ حافظ الأسد بالسلطة بعد مرحلة أولى استبعد من خلالها محمد عمران ثمّ صلاح جديد.

ليست معارك إدلب سوى نتيجة طبيعية لممارسات نظام رفع شعار "الأسد أو نحرق البلد"، نظام يعتقد أن إيران جمعية خيرية، وأن همّ روسيا محصور في كيفية بقاء بشار الأسد. لا يرى النظام أن إيران تسعى إلى تغيير الطبيعة الديموغرافية لسوريا، وأن روسيا مهتمة بالورقة السورية لأهداف متعلقة بالغاز أولاً وإملاك ورقة تستطيع من خلالها التفاوض مع الجانب الأميركي في شأن قضايا كبيرة أخرى ثانياً وأخيراً...

قبل الخوض في الوضع الراهن في إدلب وأبعاد المعارك التي تهدد بمواجهة روسية - تركية، يبدو أنّ الجانبين يبحثان عن كيفية تقاديبها، يمكن إيراد ملاحظة، حصل تطور في غاية الأهمية أخيراً، يتمثل هذا التطور في مقتل عناصر من "حزب الله" بنيران القوات التركية وذلك للمرة الأولى منذ تورط الحزب في الحرب على الشعب السوري يطلب مباشر من "المرشد" الإيراني علي خامنئي قبل ثماني سنوات. كيف سيردّ الحزب على ذلك وأين سيردّ؟ هل يأخذ علماً أن اللعبة في إدلب أكبر منه بكثير، وأنّ توريط شبان لبنانيين في معارك من هذا النوع، لا طائل منها، وهي جريمة لا تغتفر وليس هناك ما يبترها... اللهم إلا إذا كانت إيران يمكن أن تستفيد بشيء من سفك دماء لبنانية لخدمة مشروع توسعي ذي طابع مذهبي لا أفق من أي نوع له.

ما لا يمكن تجاهله في موضوع إدلب أنّ اللاعبيين الكبارين، أي تركيا وروسيا، على استعداد للتضحية بحلفائهما من أجل تقادي مواجهة مباشرة بينهما. إلى إشعار آخر، لا توجد لأي طرف من الطرفين مصلحة في مثل هذه المواجهة، وهما يسعيان في نهاية المطاف إلى تأمين مصالحهما في سوريا، حتّى لو كان ذلك على حساب السوريين أو على حساب شبان

لبنانيين ينتمون إلى "حزب الله". هذا لا يعني أن تركيا في وضع مريح، على الرغم من نجاحها في قطع طريق M4 و M5 الاستراتيجيين. على العكس من ذلك، يمكن تسمية مأزق إدلب بأنه مأزق تركيا ومأزق رجب طيب أردوغان بالذات، قبل مأزق روسيا وإيران والنظام. يمكن ذلك بعدما تراكمت الأخطاء التي ارتكبتها أردوغان في السنوات العشر الأخيرة، منذ اعتقد، أنّ في استطاعته أن يكون سلطاناً عثمانياً آخر في القرن الواحد والعشرين، متجاهلاً أن تركيا ليست مهية لذلك وأنها لا تستطيع لعب أدوار أكبر منها ومن إمكاناتها المادية.

ركب أردوغان رأسه منذ البداية. بدل أن يأخذ المبادرة في اليوم الأول لبدء الثورة السورية وتنفيذ وعده بتخليص الشعب السوري من النظام الأقلوي العائلي، إذا به يطلق الشعارات الكبيرة ويماطل في الوقت ذاته، راح يتنهّب للوصول إلى الرئاسة وإبعاد الشخصيات البارزة في حزبه عن أي موقع مهم. عمل أردوغان على إضعاف عبدالله غول وأحمد داود أوغلو وغيرهما وتهميشهما، بدل التركيز على الدور التركي في سوريا ما بعد بشار الأسد.

ما نشهده حالياً في إدلب هو نتيجة تردّد شخص اسمه رجب طيب أردوغان وضع مصلحته الشخصية فوق مصلحة تركيا. هل يعود ذلك إلى تراجيسه وعقد... أم إلى أجندة الإخوان المسلمين، بكل تحلفها، التي تتحكّم بتصرفاته والتي أوصلته أخيراً إلى إرسال سوريين للقتال في ليبيا.

في كل ما فعله الرئيس التركي في سوريا، كان هناك خطأ يجزّ إلى خطأ آخر أكبر منه. ماذا عن الحلف الجديد الذي أقامه مع روسيا وصولاً إلى شراء منظومة صواريخ "أس - 400" منها؛ ليس معروفًا ضد من يريد استخدام هذه الصواريخ. الآن، بعد الذي حصل في إدلب، لا يجد أردوغان غير الاستنجاد بحلف شمال الأطلسي والأميركيين والسعي إلى الحصول على صواريخ "باتريوت" الأميركية في ضوء تكبد تركيا العشرات من القتلى في إدلب ومحيطها. في الواقع، كانت روسيا وراء تكبيد تركيا كل هذه الخسائر البشرية، لكنّ أردوغان يفضل اللقاء اللوم على النظام السوري كي يحافظ على طريق العودة

إلى التفاوض مع موسكو مستقبلاً. رفع

يمكن تسمية مأزق إدلب بأنه مأزق تركيا ومأزق رجب طيب أردوغان بالذات، قبل مأزق روسيا وإيران والنظام. يمكن ذلك بعدما تراكمت الأخطاء التي ارتكبتها أردوغان في السنوات العشر الأخيرة

أردوغان سقّف المطالب التركية في سوريا كثيراً. لا شك أن لديه مخاوف من الأكراد المدعومين أميركياً. ولكن لماذا محاولة ابتزاز أوروبا عن طريق فتح الحدود التركية أمام هجرة اللاجئين السوريين إلى اليونان وغير اليونان؟ هل تفيد سياسة الابتزاز في شيء... أم تكشف حقيقة الرئيس التركي، وحال التخطيط والضياح التي يمرّ فيها منذ اعتقد أنّ في استطاعته أن يعيد، عبر شخصه، أمجاد الدولة العثمانية في تكري مرور قرن على انهيارها؟ يظل الفعل التركي في سوريا محكوماً باعتبارها معيّنة. من أهم هذه الاعتبارات الرغبة في عدم المواجهة المباشرة مع روسيا. الآن، استفاق أردوغان على أن روسيا سعت عبر الاجتماعات التي انعقدت في أسفانة إلى كسب الوقت ليس إلا. الآن استفاق على أن وجود الجيش التركي في سوريا جاء بناء على طلب من الشعب السوري. هذا صحيح إلى حد ما، لكن التحدث عن مثل هذه الشرعية تأخر كثيراً. تأخر أكثر مما هو مسموح به لسبب سياسي كان مفترضاً به اللجوء إلى الحسم منذ شهر آذار - مارس العام 2011.

مؤسف أن تدفع سوريا والسوريون ثمن كل الأخطاء المرتكبة في السنوات التسع الأخيرة، بما في ذلك الأخطاء الروسية والإيرانية والتركية. ما هو مؤسف أكثر من ذلك، أن المعارك الدائرة في إدلب والتي يمكن أن تخرج في أي لحظة عن إطار معين، تؤكد أن الأزمة السورية ما زالت في بدايتها. تركيا لا تستطيع أن تتراجع، كذلك روسيا. محكوم على الجانبين التوصل إلى اتفاق ما يضمن مصالح كل منهما. من الآن إلى اليوم الذي يتم التوصل فيه إلى مثل هذا الاتفاق ستسيل دماء كثيرة في انتظار معرفة ما الذي ستكون عليه سوريا في مرحلة ما بعد بشار الأسد...

